

دمية القصر

إذا عَرَّتْ مَضْجعي طمياء جائعةً ... تشرّبتْ رَوْ نقي واستأكلتْ سِرْمَني .
ومنها : .
كالْمُشْرِفيِّ إِذا أُغْمِدتْ في فُؤْرشِي ... وإن نُفِضْتُ من الحُمَّى فَكَالِيَزَني .
ولو فشا خِبرُ مما مُنِيتُ به ... بأَرْضِ خَيبَرَ ظَلَّاتْ مِنْهُ في مَحَنٍ .
بِمَ التعلُّلِ لا أَهلي لَدَيَّ ولا ... عِندي نَدِيمي ولا كَاسِي ولا سَكَنِي .
الشُّكْرُ دَأْبِي لستُ والكُفْرانُ لستُ لَهُ ... سَيِّئانَ في جَدَلٍ أَصِبتُ أُمَّ حَزَنِ .
قلت : فزارني هذا الشريف عائدًا وكان التقائي به سلامة سائغة الأذيال أهديت إليَّ
وعافيةً سائغة الزُّلال مُنَّ بها عليَّ . وبقيَ في قيد الأنعام النظامي مدة بنيسابور
رافلاً في سرايل مِنْه ناطقاً بأغاريد مِدَحِهِ . يتدرَّع في رياض الأمانِي طلالة وينتجع
لصَيْدِهِ بِلالهِ . فما تماكس أن تماسكت أحواله وتلاقحت فتلاحقتْ أُمواله وخرج في خدمة ركا به
العالِي إلى أَصفهان فاستوفى بها أَكله واستغرق الرزق كله واقتطعتْهُ المنيَّة دون الأُمْنِيَّة
ولحق باللطيف الخبير : " وما تدري نفسُ ماذا تكسب غداً وما تدري نفسُ بأيَّ أرضٍ تموت " .
فمما مدح به الصاحب نظام الملك حرس □ نظامه وأدام أيامه قوله من قصيدة أولها : .
نوالُكَ من قَطَرِ السَّحائبِ أَنْفَعُ ... وَقَدْرُكَ من مَجْرى المَجْرة أَرْفَعُ .
وهمُّكَ تَفْريقَ الثَّراءِ وإِنْما ... تَضُمُّ به شَمْلَ الثَّناء وتَجْمَعُ .
يُنِيلُكَ ما تَبْغِي من المَجْد نائِلُ ... عَمِيمٌ وَقَلْبٌ قُلُوبُ الرَأْيِ أَصْمَعُ .
لَقَدْ ضَلَّ من يَرْجو سِوَاكَ من الِورى ... كَمَا ضَلَّ بِالْبَدْرِ الْغَوِيُّ الْمُقَدِّعُ .
وَأَسْعَدُ خَلْقَ □ ساعٍ مُشْمَرٌ ... رِكايبُهُ تُحْدِي إِلَيْكَ وتُسْرَعُ .
إِلَيْكَ حَثُّنا كلَّ وَجْءٍ جَسْرَةٍ ... من الشَّامِ تَجْتَابُ الفَلالةَ وتَذَرُعُ .
سَفائنُ آلٍ تَكْرِلُ كَأَنَّها ... إِذا أَلَّها الحادي الذِّعَامُ الْمُفْزَعُ .
وكتبت إليه رحمة □ عليه قصيدة أولها : .
فرعتُ ذُؤابَةَ المَجْدِ المَنِيفِ ... بما اسْتَطَرَفْتُ من وُدِّ الشَّريفِ .
وكان معجباً بهذا المخلّى ينسبني فيه إلى الإبداع في الاختراع : .
وقلتُ وقد سمعتُ به لَصَحْبِي ... صَلَّوا بِعُرَى الذِّمِّلِ عُرَى الْوَجِيفِ .
فسرُّنا نَنْشَقُّ الْقَيِّصومَ ورداً ... وَنَحْسو أَكْؤُسَ السَّيرِ الذَّفِيفِ .
وليس لنا النديمُ سِوى السَّعالي ... وليس لنا الْغِناءُ سِوى الْعَزِيفِ .
فلمّا أنْ أَنْخَتُ به رِكايبِي غَفَرْتُ جَرائِرَ الزَّمنِ الْعَنِيفِ .

ولفَّ القرب بيتَيْنَا جميعاً ... فنحنُ الآن من باب اللّـفـيف .

ومنها :

أقول له ولم أنفسُ بنفسي ... عليه ولا التليد ولا الطريف .

فـدـى لك ما تُـزـرُّ عليه قُـمُـصـي ... وقُـمُـصـي لا تُـزـرُّ على سـخـيف .

فإني منك في روضٍ أريضٍ ... دللتُ به على خـصـبٍ ورـيفٍ .

ومن زهـراتِ حطّـك في ربيعٍ ... ومن ثمرات لفظك في خـرـيف .

وكم عاشرتُ من عُـصـبٍ ولكنّ ... تـخـذّـتـك من ألوفهمُ أليفٍ .

وما أنا من رجالك في القوافي ... وأصلُ اللـعـبِ عـرـفـانُ الحـرـيف .

وأنتَ إذا ركبْتَ الصـعـبَ منها ... سبقتَ إلى مـدـاكِ بلا رـديـف .

ولي حـشـفٌ وبـي تـطـفـيف كـيـلٍ ... وها حـشـفـي مـع الكـيـلِ الطـفـيف .

فإن تـرـدّدُ عليّ فـرـهـبـتي من ... وإنّ تـحـسـنُ إليّ فرغبتي في .

فأجاب عنها بقصيدة على عدد القوافي من غير تكرار قافية أورـدـتـها أنا وهي :

رعاكُ من يـقـيـطٍ أريبٍ ... يـسـامـقُ كلَّ مـنـقـبـةٍ مُـطـيـفٍ .

ومن يُنبوع علمٍ مُستـمـاحٍ ... غـزـيرِ الفـهـمِ عن يـمٍ خـسـيفٍ .

قـرـنتَ الفضلَ إذ برّـزتَ فيه ... إلى أصلٍ بلا وـصـمٍ شـرـيفٍ .

ومثلكُ يا عليّ إلى المـعـالي ... تـجـوزُ مُـبـرّـزاً أمـدَ السـلـيفِ